شركة الهند الشرقية – البريطانية ودورها التجاري والسياسي في الخليج العربي 1600–1858

م.م. الهام حمزة منسي الطفيلي م.م. هيثم محي طالب الجبوري
جامعة بابل/كلية التربية للعلوم الانسانية

British East India company and its commercial and political role in the Persian Gulf 1858-1600

Assistant Lec. Ilham Hamza Mansi Assistant Lec.Haytham Muhi Talip
College of Education for Human Sciences/ University of Babylon.
hathamhom@gmail.com

Abstract:

The establishment of the East Indi Company came as a result of the colonial in England in the latter half of the sixth century after the victory over the Spanish fleet in the Battle of Armada in 1855, the English rushed to search for new markets for their trade.

The declared goal in the beginning of the company`s establishment was commercial exchange with the East, and the company achieved huge profits after imposing its control on India, then the company worked after that to send commercial missions to the Arabian Gulf, and it succeed in imposing its control on the region, by obtaining concessions and concluding treaties, and then imposing protection on the Arab Gulf region, the company continued to achieve its goals and implement British policy until the year 1858,in the same year, it revolutionized India, forcing the British parliament to issue a decree freezing the company`s activity.

Keywords: India, The Arabian Gulf, commercial stations, Bushehr, The sheikhdoms of the coast.

الملخص:

ان تأسيس شركة الهند الشرقية جاء نتيجة للتوسع الاستعماري الذي شهدته انكلترا في النصف الاخير من القرن السادس عشر بعد الانتصار على الاسطول الاسباني في معركة ارمادا عام 1855، اذ اندفع الانكليز للبحث عن اسواق جديدة لتجارتهم.

كان الهدف المعلن في بداية تأسيس الشركة هو التبادل التجاري مع الشرق ولاسيما الهند التي اصبحت فيما بعد منطلق للسياسة الاستعمارية البريطانية في الشرق، وقد حققت الشركة ارباح طائلة بعد فرض سيطرتها على الهند، ثم عملت الشركة بعد ذلك على ارسال بعثات تجارية الى الخليج العربي، ونجحت في فرض سيطرتها على المنطقة، من خلال الحصول على امتيازات وابرام المعاهدات، ومن ثم فرض الحماية على منطقة الخليج العربي، واستمرت الشركة في تحقيق اهدافها وتنفيذ السياسة البريطانية حتى عام 1858، اذ قامت في العام ذاته ثورة في الهند اجبرت البرلمان البريطاني على اصدر مرسوم يقضي بتجميد نشاط الشركة.

الكلمات المفتاحية: الهند، الخليج العربي، محطات تجارية، بوشهر، مشيخات الساحل.

المقدمة

جاء تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية نتيجة للتوسع التجاري الذي شهدته انكلترا في النصف الأخير من القرن السادس عشر بعد انتصار الإنكليز على الأسطول الاسباني في معركة أرمادا عام 1855، إذ اندفع البريطانيين للبحث عن اسواق جديدة لتجارتهم المتنامية.

قسم البحث على مقدمة وستة محاور وخاتمة فضلاً عن قائمة المصادر والهوامش، تناول المحور الاول كيفية تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية والدور الذي أدته في تاريخ الخليج العربي، وتطرق المحور الثاني الى المصالح التجارية لهذه الشركة وكيفية تأسيس المراكز التجارية في الخليج العربي، في حين اوضح المحور الثالث دخول الانكليز الى الخليج العربي تجاراً مسلحين وكيفية ارسال البعثات التجارية الى الخليج، اما المحور الرابع فقد بين حرص انكلترا على إقامة علاقات مع الشرق وكذلك تناول السيطرة البريطانية على الخليج في سبيل الهند ونجاحها في فرض سيطرتها على الخليج العربي، وتطرق المحور الخامس،

الى الامتيازات وابرام المعاهدات وكيف نجحت بريطانيا في فرض الحماية على البلاد العربية، وعرج المحور السادس على اسباب نهاية وجود الشركة.

اعتمدت الدراسة على مصادر متعددة يأتي في طليعتها كتاب عبد الفاتح ابراهيم (على طريق الهند)، وكذلك كتاب (الصراع على الخليج العربي) لمؤلفه سليم طه التكريتي وكذلك كتاب شركة الهند الشرقية ملامحها وابرز سماتها، والكتب الاجنبية والعربية، فضلاً عن مصادر متنوعة ذكرت في هوامش البحث.

اولاً: سنوات التأسيس

إن تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية، جاء نتيجة للتوسع التجاري الذي شهدته انكلترا في النصف الاخير من القرن السادس عشر بعد انتصار الانكليز على الاسطول الاسباني في معركة أرمادا عام 1855، إذ اندفع الإنكليز للبحث عن اسواق جديدة لتجارتهم المتنامية، وكانت عمليات الاستغلال الناجحة التي قام بها البرتغاليين في الشرق قد هيأت المزيد من الدوافع والمحفزات للإنكليزي لان يستغلوا فرص توسيع تجارتهم[184].

قَدمَ في عام 1599 عدد من التجار الانكليز طلب الى الملكة إليزابيث للموافقة على تخويلهم حق ممارسة التجارة في الشرق، وقد تم الموافقة على ذلك، بإصدار مرسوم ملكي عام 1600، عُد بمثابة الحجر الاساسي لقيام شركة الهند الشرقية تحت اسم (شركة حاكم وتجار لندن للعمليات التجارية في الهند والاقطار المجاورة)[185]، اعطى الحق للشركة في احتكار التجارة في الشرق مدة خمسة عشر عاماً، وكان الهدف الذي يرمي اليه مؤسسو شركة الهند هو المهمة في ميدان تجارة التوابل مع الهند والاقطار المجاورة لها غير انهم سرعان ما اكتشفوا ان منتجات الهند ولاسيما معدن النترات سلع مربحة اكثر بكثير من التوابل كما انها ذات نفع اعظم للتجارة الاوربية وعليه اندفع تجار شركة الهند لاستغلال هذه الميزة[186].

تمكنت شركة الهند الشرقية البريطانية من تأسيس أول مركز تجاري لها في سورات على الساحل الغربي من الهند ثم توالى تأسيسهم للمراكز في مختلف ارجاء الهند بما فيه القسم الشرقي من الهند الذي كانت تشكل فيه هولندا أكبر منافس للشركة[187].

ومن الجدير بالذكر، تم في غضون ذلك الوقت تجديد منح الامتياز للشركة الذي كان قد منح لها عام 1600 وقد أصبحت مدته خمسة عشر عاماً بدءً من عام 1609 على ان تقوم الشركة بالأعمال التجارية وأعمال النقل كافة في جزر الهند الشرقية بصورة دائمة وقد اتجهت أنظار الشركة في هذا الوقت لتطوير علاقاتها مع منطقة الخليج العربي[188].

كذلك عملت الشركة على فتح طرق تجارية جديدة لها وكان أول اتصال لها مع المنطقة قد تم عن طريق فارس حيث اندفعت الشركة لمبادلة فائض الصوف الانكليزي بالحرير الفارسي وبذلت من اجل ذلك جهوداً مكثفة في اقناع البلاط الفارسي بمنحها امتيازات تجارية وتشجيع التجار الانكليز على التبادل التجاري مع فارس[189].

وقد حصلت الشركة عام 1615 على فرمان شاهنشاهي يقضي بمنح الشركة حق المتاجرة مع بلاد فارس وقد صارت السفن الانكليزية تؤم الموانىء الفارسية لنقل بضائعها وتغطية السوق الفارسية بها كذلك أسست الشركة مراكز تجارية في المدن الفارسية الرئيسة وأصفهان وجسك وغيرها، وفي عام 1617 تطورت علاقة الشركة بالشاه واستطاعت أن تحصل منه على فرمان

---

(1) مصطفى عبد القادر النجار، شركة الهند الشرقية ملامحها وابرز سماتها، مجلة دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، الكويت، تموز 1978، ص 13.

(2) المصدر نفسه، ص 15.

(1) سليم طه التكريتي، الصراع على الخليج العربي، السلسلة الياسية (12)، وزارة الثقافة والارشاد، بغداد، 1966،ص 72.

(2) مصطفى عبد القادر النجار، المصدر السابق، ص 17.

(3) المصدر نفسه، ص 18.

(4) صباح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي 1798-1810، مطبعة العاني، بغداد، 1979، ص 22.

تبادل التمثيل الدبلوماسي بين بلاد فارس وانكلترا، فضلاً عن منح امتيازات خاصة للتجار الانكليز ووجوب احترام شعائرهم الدينية وحقهم في الدفاع عن النفس وإعطائهم امتيازات قانونية[190].

كذلك تم تأسيس مقر تجاري رئيس للشركة في ذلك الميناء، وأصبحت من خلاله تدور العمليات التجارية في منطقة الخليج العربي، كذلك نشبت عدة حروب ومعارك حربية بين سفن شركة الهند الشرقية الانكليزية وبين السفن البرتغالية بالقرب من جاسك عام 1620[191].

تمكن الانكليز بمساعدة بلاد فارس في الهجوم على قلعة البرتغاليين في جزيرة قشم وأسر قائدهم وأرسلت الأسرى مع الغنائم إلى سورات في الهند على متن السفينة (ليبرن) وبارجتين حربيتين في حين بقيت أربع سفن أخرى تستعد للهجوم على هرمز معقل البرتغاليين[192].

في 9 كانون الثاني عام 1622 سيطرت الشركة بالتعاون مع قوة فارسية أخرى على موقع خارج هرمز وتمكنت من حرق السفينة (سنا بيدو) وانتهت في العام نفسه الاشتباكات بين الاسطول البرتغالي واسطول شركة الهند الشرقية الانكليزية[193].

كان من نتائج الاشتباكات ضعف مركز البرتغاليين بعد ان فقدوا قلعة بينا، وعلى اثره تعززت مكانة الإنكليز في المنطقة وحصلت لقاء ذلك العمل على امتيازات تجارية واسعة في جاسك بالإضافة الى حصولها من الشاه على اذن بتأسيس مركز لها في ميناء بندر عباس الذي أصبح الميناء الرئيس لتجارة الشركة مع بلاد فارس[194].

ثانياً: المصالح التجارية تتقدم المطامع السياسية

لقد مر تاريخ السياسة الانكليزية في الشرق في دورتين مطابقتين لدوري الاستعمار يبدأ الأول منها باتصال الانكليز بإيران عن الطريق التجاري الشمالي ويبدأ الثاني بالثورة الفرنسية وحروب نابليون وبعد وصول فاسكو ديكاما الى الهند في مارس سنة 1498 أول بوادر الانقلاب العالمي الحديث الذي اوجد الرأسمالية الاوبية ومهد لها سبيل السيادة على العالم[195].

وكان الانكليز قد وجهوا انظارهم في أواخر القرن السادس عشر الى طريق الفرات للتوصل الى مغانم المتاجرة مع الهند فالغوا الشركة التركية التي أرسلت بعثة لدراسة هذا الطريق مرت في عام 1583 بطرابلس الشام وبغداد البصرة وهرمز ووصلت جاوة ولكن أعضائها في هذه الرحلة الشاقة ولم يعد منهم غير واحد وصل انكلترا عام 1590 يحمل كل ما تمكن من جمعه من معلومات[196].

وعندما تمكن الانكليز من تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية في 31 كانون الاول عام 1600 توجهت أنظارهم نحو الخليج العربي لما يتمتع به من تجارة رائجة[197].

ان الوجود الانكليزي في الخليج العربي تعرض الى منافسة من قبل الشركة الهولندية والفرنسية اسوة بالشركات الانكليزية التي تزاحم تجارتها وتضع العراقيل في سبيلها وقد وقعت اول معركة بين الانكليز والبرتغاليين في الخليج بالقرب من جسك وكان النصر حليف الانكليز فأسسوا في جسك على اثر هذا الانتصار أول مركز لتجارتهم في الخليج وكانت سيادتهم على نقيض البرتغاليين[198].

---

(5) صباح محمد العابد، المصدر السابق، ص25.
(1) عبد المنعم الهاشمي، موسوعة تاريخ العرب في العصر الحديث، ط1، بيروت، 2006، ص 209.
(2) قدري قلعجي، الخليج العربي بحر الاساطير، ط2، بيروت، 1992، ص 379.
(3) عبد الفتاح ابراهيم، على طريق الهند، بغداد، 2004، ص 47.
(4) المصدر نفسه، ص 48.
(5) امين سعيد، الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة، دار الكتب العربي، بيروت، 1965، ص 12.
(196) المصدر نفسه، ص 12.
(2) عبد الفتاح ابراهيم، المصدر السابق، ص 42.
(3) امين سعيد، المصدر السابق، ص 16.

فقد كان الانكليز يحسنون معاملة السكان الى جانب الامراء، فاستمالوا اهل البلاد وقويت علاقتهم بالشاه حتى طلب معونتهم لطرد البرتغاليين من الموانىء الفارسية وكان ذلك في صالحهم فساعدوه[199].

لكن لما أبعد البرتغاليين حلوا محلهم فيها وعقد الشاه معهم عام 1622 اتفاقاً عهد فيه اليهم بأمر حماية التجارة في الخليج فوضعوا بارجتين من بوارجهم في مياهه، وكان ذلك اول حجر في بناء مركزهم السياسي وامتداد لنفوذ البريطانيين في الخليج على انهم جوبهوا بمنافسة الهولنديين عقب تخلصهم من البرتغاليين وكان الهولنديون قد توسعت تجارتهم بعد ان نالوا استقلالهم من الاسبان وبعد ان شجعهم انكسار فيليب الثاني في واقعة الارمادا على الوصول الى الهند[200].

وقد الغوا جملة من الشركات التجارية توحدت سنة 1602 فتألفت منها شركة الهند الشرقية الهولندية التي استطاعت في غضون عشرين عام، الاستحواذ على أكثر مراكز التجارة البرتغالية في الشرق[201].

عندما دخل الهولنديين الخليج والنزاع قائم بين الانكليز والبرتغاليين فأعانوا الانكليز واسسوا لهم مراكز تجارية في بندر عباس واصفهان والبصرة وكان طبيعياً ان ينفر الانكليز منهم لمنافستهم القوية ولتوسلهم بمختلف الوسائل لعرقلة سير التجارة الانكليزية والقبض على الاسواق ولاسيما بعد أن شددوا على الشاه وهو مشغول بالدفاع عن بغداد وقد حاصرها العثمانيين فأجبروه على منحهم جزء من تجارة الحرير وكان الإنكليز قد احتكروها[202].

وقد امتنعوا عن دفع الرسوم على بضائعهم في بندر عباس فتضررت بذلك الشركة الانكليزية وكانت تتمتع وحدها بهذا الامتياز وتوفي الشاه عباس الاول سنة 1629 ففقدت انكلترا بموته صديقاً قوياً وكانت العادة الجارية في البلاد الفارسية ان تتجدد العقود كلما تولى الأمر شاه جديد[203].

وقد اغتنم الهولنديون هذه الفرصة للقضاء على التجارية الانكليزية فرشوا رجال الحكومة الفارسية ودفعوا أثمان عالية للبضائع الفارسية وضايقوا الانكليز حتى اجبروهم على نقل بضائعهم الى البصرة عام 1639 وشجعهم هذا الانتصار فراحوا يعملون بقوة لاحتكار اسواق فارس وركنوا الى استعمال العنف لاستحصال الامتيازات من الحكومة وقد ارسلوا عام 1645 قوة عسكرية انضمت الى اسطولهم في الخليج واحتلت جزيرة قشم فاضطر الشاه ان يمنحهم ما أرادوا[204].

وقد تعقب الهولنديون الانكليز الى البصرة فأرسلوا ثمانية من سفنهم أنزلت بضائعها في المناوي وملأت بها الاسواق وكانت على وشك ان تقتضي على التجارة الانكليزية فيها وقد اشتدت هذه المنافسة حتى كانت من جملة العوامل في نشوب الحرب بين الدولتين بين سنتي (1652– 1667)[205].

ولم تنتهي إلا عندما اضطر الانكليز والهولنديين ان يتحدوا لمقاومة لويس الرابع عشر ملك فرنسا الذي عظم شأنه وحارب الهولنديين والإسبان وخرب اساطيلهم وكان ما حدث للهولنديين على يد لويس الرابع ضربة قاضية على تجارتهم في الشرق ففقدوا اسطولهم الذي بنوه بالقوة بعد ان فقدوا نلك القوة وتضاءل نفوذهم في الخليج فانسحبوا من البصرة عام 1753 ومن بعد ذلك بقليل أغلقوا باب وكالتهم في بندر عباس عام 1759 فصفا الجو للإنكليز[206].

أما فرنسا فقد بدأت منافستها للتجارة الانكليزية عام 1622 لما أرسلت ريشليو وزيرها ممثلاً من قبله الى البلاط الفارسي ليحول دون اتجاه الشاه مع اسبانيا على العثمانيين، وفي خلال حرب السنوات السبع وصلت لكن الهولنديين انزلوا في هذه السنة

---

(4) المصدر نفسه، ص 17.
(200) زكي صالح، موجز تاريخ العراق، منشأ النفوذ البريطاني في بلاد ما بين النهرين، ط1، بغداد، د.ت، ص 133.
(201) المصدر نفسه، ص 134.
(202) يوسف رزق الله غنيمة، تجارة العراق قديما وحديثا، ط1، بغداد، 1922، ص 58.
(203) المصدر نفسه، ص 86.
(204) عبد العزيز نوار، المصالح البريطانية في العراق 1600-1914، القاهرة، 1968، ص 56.
(205) عبد العزيز نوار، المصدر السابق، ص 61.
(206) عباس عزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج6، بغداد، 1954، ص 42.

كمية كبيرة من البضائع واشتدت منافستهم للتجارة الانكليزية فأصيبت من جراء ذلك اضرار عظيمة واغروا عليهم صدر الباشا والي البصرة فامر بسد مخزنهم على ان ذلك لم يمنع الانكليز عن مواصلة سفنهم الى البصرة بين حين واخر ولما زار الوالي علي باشا البصرة عام 1633 ورأى قبائل كعب تعبث في ضواحيها وعد وكيل الشركة الانكليزية فيها بتمشية مصالحة اذا ساعدته سفن الشركة في اخضاع هذه القبائل[207].

أربع من سفنهم مخفية حقيقتها بالعلم الهولندي فهاجمت مركز التجارة الانكليزية في بندر عباس ودمرته واسسوا لهم عام 1755 وكالة تجارية في البصرة ثم قلبوها الى قنصلية عام 1765 على ان المنافسة الحقيقية بين الدولتين لم تبدأ إلا في عهد الثورة الفرنسية وحروب نابليون[208].

لقد اتصل الانكليز بالعراق لأول مرة بمجيئهم الى البصرة بين سنتي (1635–1639) اغتنموا فرصة ابتعاد البرتغاليين عنها ووجدوا من التشجيع ما ساعدهم على اقامة مركز تجاري لهم فيها عام 1643 ثم نقل مركز بندر عباس تجارته اليها عام1645[209].

فارسل الوكيل جملة من السفن هاجمت فانتصروا عليها واسروا ثلاثة منها فلما علمت بذلك حكومة بومباي ارسلت عام 1766 اسطولاً من ست سفن لتأديب قبائل كعب الا ان العرب انتصروا هذه المرة ايضاً فاحرقوا سفينتين من سفن الانكليز وتسعة من سفن العثمانيين وصدوا القوة التي هاجمتهم من البر[210].

لقد كان لتعاون الولاة مع الشركة في مقاومة القبائل لعربية سبباً في تحسن العلاقات بين الشركة والولاة فتوسعت مصالحها التجارية في العراق حتى اضطرت ان تعين لها وكيلا وعينت الوكيل رجلا ارمنياً استبدلته بعد ذلك بإنكليزي وكانت تجلب الى العراق المواد المعدنية والمنسوجات الصوفية فتبيعها وتستبدلها بالحرير الفارسي[211].

وقد وجدت لها عوًنا كبيراً لتسيير مصالحها في شخص سليمان باشا الكبير بعد ان ساعده وكيلها في الحصول على منصب ولاية ايالات وكان يقرضه ما يحتاج اليه من المال ويتولى امر تحويل المبالغ التي يرسلها الى استنبول وكانت الشركة تستورد للباشا ما يحتاج اليه من الاسلحة والمعدات الحربية وتستقدم له مدربين العسكريين وقد اصبح لها من النفوذ في اواخر القرن الثامن عشر ما ساعدها ان تحمل بريدها على القوافل الى سواحل البحر المتوسط [212].

اما علاقة الانكليز بسكان سواحل الخليج العربية، فقد بدأت بنزوح البرتغاليين عن هذه السواحل وقد كانت الشركة تتجنب على ما يظهر الاشتباك معهم فكان ذلك سبب في رفضها اجابة الشاه الى طلبه عندما طلب اليها ان تساعده في مهاجمة عمان[213].

ثالثاً: الانكليز يدخلون الخليج تجارا مسلحين

لما كانت بريطانيا تتخلص من منافستها القوية اسبانيا ذات الاساطيل الجبارة الارمادا التي كانت عازمة على قبر الإنكليز في جزيرتهم فنقبرت اطماعها في الجحيم عام 1588 نتيجة تحطم الاسطول الجبار حتى اخذت عيناها تتطلع الى عالم الشرق بشراهة مكملة ما قد شرعت به من نفوذها خارج جزيرتها[214].

---

(207) المصدر نفسه، ص 63.
(208) المصدر نفسه، 44.
(209) مصطفى عبد القادر النجار، المصدر السابق، ص 62.
(210) عبد العزيز نوار، المصدر السابق، ص 60.
(211) محمد عبد الله عودة، تاريخ الخليج العربي الحديث، عمان، 1989، ص 92.
(212) المصدر نفسه، ص 93.
(213) قدري قلعجي، المصدر السابق، ص 380.
(214)عبد الامير محمد أمين، التنافس بين الشركات التجارية في منطقة الخليج العربي والاقطار المجاورة، مجلة كلية الآداب، بغداد، 1963، ص 32.

وقد عرف الانكليز الذين يتصفون بالدهاء منذ القدم كيف يدخلون الخليج العربي متابعين خط سيرهم الذي انتهجوه في الهند وكان اول من فكر من اباطرة الانكليز بالنفوذ الى الشرق هي الملكة اليزابيث الاولى وكانت تعرف ماهي علية المملكة الفارسية من عداء مع العثمانيين فأرسلت في عام 1561 مبعوثاً لها الى البلاد الفارسية مزوداً برسالة الى الشاه[215].

وقد عرف في هذه الرسالة رغبة بإقامة علاقات مع فارس لكن هذه الخطوة لم تنجح وهكذا كان لإنكلترا مبعوث جديد الى فارس ذلك عام 1579 وهو في هذه المرة قس كاثوليكي يدعى (ستيفر) وكان وجهته الهند مباشرة وقد عرف هذا الداهية في اي وسط ينشط ومن هنالك كان يبعث بالرسالة تلو الاخرى الى الوطن الأم [216].

وقد عمل القس الكاثوليكي بكلية للجزويت في(غوا) البرتغالية ولما عاد هذا المغامر الى وطنه راح يصف بإسهاب ما شاهد ورأى وكانت الملكة تريد ان تقف على الحقيقة كما هي فقد اعادت مبعوثها هذا للمرة الثانية الى بلاد فارس بصحبة ثلاثة اشخاص[217].

لكن البرتغاليون القوا القبض على افراد البعثة القلائل بتهمة التجسس وبعثوا بهم الى سجن غوا ولكي يكن البرتغاليون على خطأ عندما زجوا في السجن بهؤلاء الذين يمكننا ان نعرف شيئا مهمتهم من خلال رسالة كتبها احدهم يدعى (راف فيش) يصف البصرة بما يلي(**البصرة بلد التجارة الرائجة بالافاوية والعقاقير**) ويصف هذا المغامر لمواطنة لما هو عليه الشرق من ثراء وكيف تثقل المرأة الشرقية نفسها في الاطواق والاساور وكل تلك الزينة والحلية من الذهب الخالص والجواهر واللآلئ [218].

وبلغت مطامع بريطانيا في الشرق ذروتها حين سطا المدعو دريك عام 1587 على ارشيف التجارة البرتغالية في السفينة فليب، وقد تكشفت له تلك الصفحات عن الارباح الاسطورية التي يجنيها البرتغاليون فأوجس خيفة وشعروا بالخطر المحدق بهم فأوعزوا الى الحاكم البرتغالي في الهند بأن يهتم بأمر القلاع والحصون في جميع المستعمرات البرتغالية في الهند والخليج العربي ومن هنا اخذ البرتغاليون يضايقون السفن الانكليزية ويتصدون لها ويمنعون عبور اي سفينة الى الخليج العربي مالم تحمل ترخيصاً من السفن البرتغالية[219].

كانت المدرسة الاستعمارية الانكليزية تريد ضرورة جعل الخليج مقفلة وابعادها عن كل منافس استعماري اخر وقد طرح رئيس شركة لنج عام 1868 ان التجارة بين الهند وبريطانيا وموانئ الخليج ونهر الفرات ازدادت بدرجة غير عادية وان كثير من المواطنين الاوربيين الذين يمثلون التجارة في بلادهم يقيمون في بغداد [220].

وقد استفادت التجارة عامة والشركات التجارية البريطانية بصورة خاصة من وسائط النقل النهرية الحديثة حيث ان البواخر القدمية كانت تمخر عباب نهر دجلة بين البصرة وبغداد صارت بفضل السفن البخارية الجديدة تقطع المسافات في غضون (42-60) ساعة فقط مع التيار [221].

هذه التجارة النامية وبخاصة البريطانية منها نبهت الولاة العثمانيين وجعلتهم يتمسكون بحرفية نصوص الفرامين السابقة ومنعوا السفن البريطانية من تجاوز شمال بغداد ولم يسمحوا للشركات البريطانية بإنزال اكثر من باخرتين في ان واحد في نهر دجلة[222].

---

[215]عبد الامير محمد أمين، المصدر السابق، ص 43.
[216]طارق نافع الحمداني، تاريخ الخليج العربي في العصر الحديث ومصادره، ط1، 2010، ص 143.
[217]المصدر نفسه، ص 145.
[218]محمد أنيس واخرون، الشرق العربي في التاريخ الحديث المعاصر، القاهرة، 1967،ص 90.
[219]محمد أنيس واخرون، المصدر السابق، ص 94.
[220]عبد الامير محمد امين، المصدر السابق، ص 50.
[221]طارق نافع الحمداني واخرون، دراسات في اريخ الخليج العربي، 2008، ص 60.
[222]المصدر نفسه، ص 70.

رابعاً: بريطانيا تسيطر على الخليج العربي في سبيل الهند

كانت سيادة اسبانيا والبرتغال على التجارة قصيرة الامد حيث فقدت البرتغال قوتها البحرية بعد انضمامها الى اسبانيا على عهد فيليب الثاني الذي اشغلته الحروب مع الانكليز والفرنسيين والهولنديين المطالبين باستقلالهم عن العناية بشؤون التجارة ولما اعلنت هولندا انفصالها عن اسبانيا سنة 1566[223].

وكانت مرغمة بطبيعة وضعها الاقتصادي والجغرافي ان تعتمد في حياتها على البحر فأنشاة قوة فيه استطاعت في مدة وجيزة ان تنازل سفن الاسبان والبرتغال وتستولي عليها[224].

وان تضبط اكثر مراكزهم التجارية في الشرق وفي اميركا فكانت سيدة البحر مدة القرن السابع عشر على ان انكلترا نزلت الى الميدان على اثر انتصارها في واقعة الارمادا فكان نزاع عنيف بين الهولنديين والانكليز وبقيت نيران الحروب تستعر بين الدولتين[225].

ولما اعلن لويس الرابع عشر على هولندا عام 1672 انقلبت الحرب انكلترا وهولندا الى لتفاق مقاومة على مقاومة لويس الرابع عشر ملك فرنسا غير ان نجم هولندا اخذ في الافول بعد هذه الحروب فتركت الميدان الى فرنسا وانكلترا[226].

لقد دام النزاع بين انكلترا وفرنسا مدة مائة عام وانتهى بانتصار الانكليز الذين خرجوا منه وبقبضتهم سيادة البحار والهند والقسم الاعظم من اراضي العالم الجديد[227].

وقد اعتاد الانكليز ان يصفوا الهند بالدرة اللامعة في التاج البريطاني ويظهروا للشعب الإنكليزي انها قوام حياته وسر عظمة بريطانيا حتى اصبحت الهند مدار السياسة البريطانية وشغلها الشاغل[228].

وفي الواقع ان الهند كانت قوام الرأسمالية الانكليزية في مختلف ادوار نشأتها وهي العامل الاكبر في تفوقها ولاتزال في قوتها وجبروتها فنبهت كنوز الهند خلا القرنين السابع عشر والثامن عشر استطاع التجار الانكليز ان يجمعوا اكداس الذهب والفضة وغيرها من المواد فيقيموا بواسطتها الرأسمالية الصناعية التي نشأت في بريطانيا واتخذت من الهند سوقاً تعيش عليه ومورداً لما تحتاج اليه من المواد الخام[229].

كانت الهند ميدان لاستثمار رؤوس الاموال الانكليزية واستغلال العمال الى ابعد حد عرفته البشرية وسوق من اعظم اسواق العالم، ومورد تستنزف منه الرأسمالية الانكليزية المال والمواد الخام وان مليون من سكان الهند ومليوناً من الاميال المربعة من مساحتها تخضع للحكم البريطاني المباشرة[230].

ان الامارات التي يحكمها الامراء لا تمتاز عن الولايات الخاضعة للحكم المباشر سوى بالمظاهر فالسادة الامراء ليسوا سوى عبيد للإدارة البريطانية يعرفون حق المعرفة انهم مدينون لهم بمركزهم وبما ينعمون به مما يبتزونه من الشعب الهندي من الاموال[231].

وان الرأسمالية الإنكليزية حريصة كل الحرص على الاحتفاظ بهذه الحشاشة من بقايا العصور الاقطاعية القديمة بوصفها سلاحاً من اسلحة الرجعية تقاوم به الطبقة الوسطى الناشئة والسواد الاعظم من الشعب الهندي[232].

---

[223]عبد الفتاح ابراهيم، المصدر السابق، ص 51.
[224]المصدر نفسه، ص 54.
[225]جمال زكريا قاسم، الخليج العربي: دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الاوربي الاول (1007-1840)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985، ص 72.
[226]المصدر نفسه، ص 77.
[227]عبد الفتاح ابراهيم، الصدر السابق، ص55.
[228]بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي المعاصر، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1981، ص 91.
[229]المصدر نفسه، ص94.
[230]مصطفى عقيل الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي(1622- 1763)، المكتبة العصرية، بيروت، 1981، ص 25.
[231]المصدر نفسه، ص 28.
[232]جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص 81.

وقد توسل الانكليز منذ ان تأسست شركة الهند الشرقية عام 1600 بكل الوسائل لابتزاز الثروة من هذه المملكة الفتية التي تعادل في المساحة نصف قارة اوربا وشجعهم على ذلك انحطاط مستوى العيش فيها والجهل المطبق على سكانها وقد ذهبت الشركة في استنزاف المال بواسطة المتاجرة الى ابعد حد[233].

حتى ان مجموع قيمة ما استورد الى الهند بلغ بين سنتي (1766–1768) (624,375) ليرة انكليزية بينما بلغ مجموع ما صدر منها الى انكلترا (5,311,250) ليرة انكليزية عدا المبالغ الطائلة التي كان يجمعها المحاربون وموظفو الشركة في بهار واوديسا وميسور وتنجور والبنجاب والسند وغيرها من المقاطعات التي ضمتها لأملاكها مثل ما فعلت البرتغال سنتي (1814–1856)[234].

اخذت قابلية الهند لشراء المنسوجات البريطانية تتضاءل لنضوب معين الثروة فاضطر الرأسماليين الى التحري عن علاج ينعش ذلك، وكان مجال استثمار الاموال في انكلترا قد ضاق واخذت نسبة الارباح بالنزول فعمدوا الى استثمارها في مشاريع زراعة القطن وغيرها[235].

وكانت صناعة الحديد في انكلترا قد اصبحت بحاجة الى سوق لتصريف منتجاتها فرأى اصحابها في مد السكك الحديد وانشاء مشاريع الري وتأسيس مراكز البرق والبريد خير منقذ لها ولاسيما قد اضحت الرأسمالية الانكليزية بحاجة ماسة الى ضمان المواصلات والمخابرات لتسهيل استثمار البلاد وتثبيت وضمان السيطرة عليها فدخلت الرأسمالية بذلك دور استثمار رؤوس الاموال واستغلال الشعب في ميادين العمل فضلاً عن استنزاف ينابيع الثروة في البلاد وكان من ابرز واهم مظاهر قيام الحكومة البريطانية بتبديل الوضع السياسي في البلاد والقبض على زمام الحكم فيها مباشرة[236].

وقد صحب هذا الدور ازدياد الارهاق واشتداد البطش والتعسف فقد حدث في مستهله ان تمردت بعض كتائب الجيش الهندي واندلعت الثورة في البلاد فبطش الانكليز بالهنود بطشا لم يشهد التاريخ له مثيل وكانت حركة العمال وطلبهم تحديد ساعات العمل قد نشطت في انكلترا فرأى الرأسماليون في العامل الهندي خير وسيلة لاستنزاف اعظم مقدار من الربح لرؤوس اموالهم[237].

لقد عمد الرأسماليون في ارهاق الفلاح والعامل الهندي، ما يفوق حد التصور وما كان عليهم من رقيب فكانوا يسترجعون قسماً كبيراً من الاجور الزهيدة التي لم تكن لتكفي لسد رمق الفلاح والعامل غرامات وكانوا يفرضونها بالقوة وكانت ساعات العمل تتراوح في احسن الحالات بين عشر واربع عشر ساعة طول مدة الاسبوع[238]، ومع ان الاجور في الهند تختلف باختلاف الجهات ونوع العمل فهي من اوطأ الاجور في العالم على ان ابتزاز الرأسماليين من الانكليز اموال الهند لم ينته عند هذا الحد فقد كانت الرأسمالية الانكليزية تمد السكك الحديد لتسهيل الاستغلال واحكام الاستعباد على حساب الشعب الهندي[239].

أعدت الحكومة البريطانية على نفقة الهنود وسائل الدفاع عن مصالح الرأسمالية في الشرق فكان الجيش المستخدم لإخضاع البلاد واستعمار الاقطار المجاورة يستوفي نفقاته من خزينة الهند وكانت نفقات الجيش البريطاني في الهند تزيد في بعض الاحيان بسبب سياسة التبذير على نفقات جميع القوى وقد ادى اتباع سياسة التبذير في الصرف على الجيش وعلى وسائل الدفاع من سكك وغيرها والانفاق على الحروب الاستعمارية الى ظهور العجز باستمرار في ميزانية الهند والى تراكم الديون التي كانت تستقرض من الرأسماليين الانكليز بفوائض عالية[240].

---

[233]مصطفى عبد القادر، المصدر السابق، ص 17.
[234]المصدر نفسه، ص 20
[235]عبد الفتاح ابراهيم، المصدر السابق، ص 58.
[236]صالح محمد العابد، المصدر السابق، ص 29.
[237]المصدر نفسه، ص 31.
[238]قدري قلعجي، المصدر السابق، ص 381.
[239]المصدر نفسه، ص 383.
[240]صالح محمد العابد، المصدر السابق، ص 32.

كانت الرأسمالية البريطانية بالهند علاقة حياة وممات فالرأسمالية الانكليزية بعد ان اشتدت المنافسة بين الرأسمالية في امريكا واليابان لم تعد تستطيع الحياة من دون الهند[241].

كان بطرس الاكبر مؤسس روسيا القيصرية اول من فكر بجد في فتح الهند وقد هاجم بلاد ايران اثناء الفتح الافغاني بقصد الوصول اليها فاخفق في ذلك، الا ان التفكير في اهميتها ولزوم الاستيلاء عليها لازمة الى اخر حياته فأوصى خلفاءه بتحقيق امنيته وعندما جاء نابليون عمل لمهاجمة الهند ووضع الخطط الحربية بالاشتراك مع بولص قيصر روسيا ومع الاسكندر الاول من بعده وقد كانت الدوافع الفعلية لاهتمامه في امر مهاجمة الهند ترجع الى رغبته في ان ينازل انكلترا في الشرق بعد ان عجز عن منازلتها في اوربا بسبب افتقاره الى اسطول بحري[242].

وكان يعتقد ان انتزاع الهند من انكلترا او قطع طريق اتصالها بها ضربة قاضية على بريطانيا وعلى الرغم من ان نابليون وضع خطط حربية لفتح الهند غير ان الظروف لم تمكن نابليون من تحقيق هذه الخطط وانتهى به الى سنت هيلانه القاحلة لكن هذه الخطط اصبحت من بعده اساس السياسية البريطانية لحماية امبراطوريتها الهندية بعد ان اشار فيها نابليون الى جميع الجهات التي يتوقع ان تهاجم الهند منها وهذه الطرق هي طريق البحر الاحمر والفرات وهيرات والخليج العربي[243].

استبدلت بريطانيا تأسيساتها التجارية في الخليج بتأسيس سياسة مجاراة للأحوال الحادثة فقلبت وكالتها التجارية في بوشهر الى وكالة سياسية عام 1812 وفعلت مثل ذلك في بقيت مراكزها في الخليج عام 1822 وقد اخذت بريطانيا بتأسيس فروعاً لها في الخليج واستخدمت عدداً من الخبراء[244].

وكانت حكومة مقاطعة بومبي تعين الوكلاء في بغداد والبصرة وبوشهر ومسقط فتلت حكومة الهند نفسها امر هذه التعيينات وقويت سياسة بريطانيا في العراق فعمل وكلاء الشركة على تحسين علاقاتهم بالولاة واخذوا يسعون في تقوية نفوذهم بواسطة جلب الاسلحة والمعدات الحربية الى الولاة ومساعدتهم في مقاومة المنافسين لهم على مناصب الولاية الاستانة وتوسعت دائرة نفوذهم فامتدت من المدن الى القرى[245].

كما عين البريطانيون مقيماً سياسياً في بغداد الى درجة قنصل سنة 1802 واصبحت بغداد مقراً للنفوذ البريطاني في هذه الربوع وقد عين لهذا المنصب عام 1808 رجل قدير يدعى المستر كلوديوس جيمس رج تمكن مدة ثلاثة عشر سنة التي قضاها في بغداد من مضاعفة نفوذ القنصلية ورفع مستواها حتى اصبحت مقراً للطبقة العليا وملتقى كبار الموظفين والوجهاء ومعهد للأبحاث الاثرية مما ادى الى استياء داود باشا فوقع الخلاف بينهما واعلن الباشا الغاء جميع ما للأوربيين من الحقوق في بغداد ثم ضاعف الضرائب الكمركية على البضائع الانكليزية واخذ يعرقل أمور القنصل حتى اضطر الى طلب مغادرة بغداد[246].

اخذت الاحوال تتبدل في العراق بخروج داود باشا من بغداد فعاد النفوذ الانكليزي الى ما كان عليه من قبل واستمر بتوسع بسبب خوف الولاة من كتابة القنصل الانكليزي الاستانة عن الاحوال في العراق والبلاد العربية واظهار ضعف الولاة واهمالهم شؤون الدولة[247].

ولما عرف الشيخ القبائل بما للمقيم البريطاني من النفوذ واحسوا انه يستطيع ان يساعدهم في مقاومة الولاة لتبديلهم بالكتابة الى الاستانة تقربوا اليه وكسبوا وده وقد توسعت بريطانيا في مصالحها في الخليج العربي والبلاد المحيطة وقد كانت لها مصالح على جانب عظيم من الاهمية والخطورة ومن اهمها قضيتا المواصلات والمخابرات بين الامبراطورية في الشرق ومرجعها لندن فقد

---

[241]عبد المنعم الهاشمي، المصدر السابق، ص 213.
[242]المصدر نفسه، ص 215.
[243]قدري قلعجي، المصدر السابق، ص 385.
[244]عبد المنعم الهاشمي، المصدر السابق، ص 217.
[245]محمود شاكر، موسوعة تاريخ الخليج العربي، ج1، عمان، 2003، ص 253.
[246]المصدر نفسه، ص 258.
[247]مكي شبيكة، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الاولى، ج1، د.م، 1970، ص 41.

اضطر الانكليز بعد ان ابدلوا سياستهم التجارية بهذه السياسة الاستعمارية الى ان يعملوا على ربط اطراف الامبراطورية بلندن بأحدث وسائل المواصلات والمخابرات[248].

وذلك ليكونوا على علم بكل ما يجري في الشرق وعلى استعداد لدفع ما قد يهدد امبراطوريتهم من الاخطار وقد احس الانكليز بالحاجة الى ربط الهند وبريطانيا بالأسلاك البرقية وقد كانت فتنة تمرد الجنود في البنغال والاضطرابات التي وقعت على اثرها في اطراف الهند من العوامل التي نبهت الانكليز الى لزوم تأسيس وسائل المخابرات الحديثة وكان توسع المصالح التجارية والاستعمارية في الهند وحاجة هذه المصالح الى وسائل المخابرات الحديثة ومساعي اصحاب مصانع الحديد لإيجاد سوق لصناعاتهم النامية من العوامل التي دفعت بريطانيا الى الاهتمام بالمخابرات[249].

ان الانقلاب في السياسة البريطانية في الخليج وفي البلاد المحيطة ادى الى ان تتقدم المصالح السياسة الاستعمارية على المصالح التجارية فيه وكانت هي المتقدمة من قبل غير ان الرأسماليين الانكليز لم يكن ليفوتهم تقدير المجال الواسع الذي سينفتح لبضائعهم بعد ان بسطت بريطانيا نفوذها في الخليج وفي البلاد المجاورة له[250].

وكان ضعف النفوذ البريطاني في الخليج قد ادى الى ان تفكر شركة الهند الشرقية بقطع صلاتها التجارية به بعد ان اشتدت منافسة الهولنديين فيه غير ان هذا التبدل في سياسة بريطانيا في هذه الجهات بعث الحياة في تجارتها وكانت الحكومة البريطانية نفسها تعمل على تقوية هذه المصالح التجارية لتتخذ ذلك ذريعة للتدخل في شؤون الخليج ومبرراً في اتفاق ما تجمعه من دافع الضريبة في سبيل تامين مصالح الاستعمار التي تنحصر فائدته بالرأسماليين[251].

وكانت الحكومة الانكليزية تحبذ للمتاجرين الاتصال بهذه الجهات وتصور لهم الخليج موصلاً للأسواق وملتقى للطرق التجارية التي تخترق بلاد فارس فتتصل بالهند وتركستان والصين والبصرة ميناء خطير لاسيما لتجارة العراق والشرق الادنى وان الموانىء على سواحل الخليج الشرقية هي رؤوس طرق قديمة مهمة كطريق بندر عباس الذي يتصل بكرمان فيزد فمشهد وطريق لنجه الذي يؤدي الى لورستان وطريق بوشهر الذي يتصل بشيراز والطريق الذي يوصل المحمرة بششتر بالإضافة الى ان العراق ملتقى الطرق التجارية بين الشرق والغرب[252].

لقد كانت البصرة من اهم موانئ العالم تأتي السفن التجارية اليها من المحيط الهندي ومن جهات الخليج تنزل فيها احملها فتنقل منها الى بغداد توزع على ثلاثة طرق يتصل الاول بالموصل عن طريق دجلة ثم بحلب ويتصل الثاني بالفلوجة وكانت القوافل تقطع منها صحراء الشام الى سوريا ويتصل الثالث بإيران عن طريق كرمنشاه ولاتزال هذه الطرق باقية حتى الوقت الحاضر[253].

ومن اولى البعثات التي اوفدها الانكليز الى العراق بعثة جسني التي سعت لدرس شؤون العراق التجارية والاقتصادية بالإضافة الى الامور السياسية الاخرى التي جاءت من اجلها فتكهنت بمستقبل باهرة للتجارة بعد ان يصبح الفرات صالحا لسير السفن ويكون طريق التجارة بين البحر المتوسط والخليج وكان مما زاد من قيمة هذه البلاد التجارية بنظر البعثة قدرتها على شراء مقادير كبيرة من التجارة الانكليزية الهندية كالسكر والشاي المنسوجات القطنية وكان راي البعثة ان الانكليز لو اتجروا معها مباشرة لتتضاعف قدرتها على الشراء[254].

---

[248]خالد محمود السعدون، احداث في تاريخ الخليج العربي، الشارقة، 2010، ص 311.
[249]خالد محمود السعدون، المصدر السابق، ص 314.
[250]مكي شبيكة، المصدر السابق، ص 45.
[251]محمود شاكر، المصدر السابق، ص 259.
[252]زكي صالح، المصدر السابق، ص 140.
[253]المصدر نفسه، ص 142.
[254]عباس العزاوي، المصدر السابق، ص 45.

وكان التجار من المواطنين يبتاعون البضائع بعد ان تمر بأيدي كثير ن الوسطاء فتتضاعف اسعارها حتى ان البعثة لاحظت ان قطعة من القماش قيمتها في مانشستر لا تزيد على ثلاثة عشر شلناً كانت تباع في هذه الاسواق باثنين وثلاثين في حين لو استوردتها شركة انكليزية لاستطاعت ان تنزل هذا السعر الى النصف فتضاعف بذلك قدرة السوق للشراء[255].

رات البعثة الانكليزية ان التجارة الروسية كانت تهدد التجارة الانكليزية في اسواق ايران والعراق وكردستان لان اسعار بضائعها كانت اقل بكثير من اسعار البضائع الانكليزية ورات البعثة ايضاً ان صادرات العراق ومن اهمها الحبوب والتمر ومواد اخرى لازمة للصناعة الانكليزية كالصوف والجلود وعرق السوس والثمار المجففة وشمع العسل ليس مما يجوز إهماله[256].

كما ان في استطاعة ايران ان تصدر كمية لا يستهان بها من هذه المواد عدا ما تصدره من السجاد والثمار المجففة والقطن وكانت جميع هذه المواد تباع بأسعار بخسة جداً وتبين للبعثة ان الشركات لو ضبطت تجارة الموصل لتم لها القبض على تجارة ديار بكر وماردين وهما مركزان لا يستهان بهما اذا تمتد منهما الطرق التجارية الى اسيا الصغرى وفيها اسواق واسعة للسكر والمنسوجات القطنية والحريرية[257].

وان الخليج بما فيه من جزر قاحلة مبعثرة قرب سواحله الجرداء كانت محط انظار الإنكليز في كل زاوية من زواياه مركز نفوذ وان اليد المستعمرة قد قبضت على رقاب معظم الشيوخ والامراء فيه فجعلتهم طوع ارادتها ويرجع تاريخ هذا الاستعمار الى بداية القرن السادس عشر ويتصل باكتشاف راس ارجاء الصالح واستعمار الهند[258].

خامساً: منح الامتيازات ومنح المعاهدات

لم تصل بريطانيا الى مركزها المتفوق في الخليج العربي الا بفعل قوتها العسكرية واساليبها القصرية في اخضاع شيوخ وسلاطين وامراء المشيخات العربية بسيادتها فلقد نجحت حملاتها البحرية المتكررة في ان تحمل القوى العربية على توقيع معاهدات بحرية ومعاهدات هدنة واتفاقيات انهت بموجبها حالة الحرب التي كانت مستعرة بين الطرفين[259]، فنتيجة لحملتها العسكرية ضد القواسم 1819 اجبر مشايخ الخليج على طول ساحل القراصنة فضلاً عن شيخ البحرين على التوقيع على معاهدة عام 1829 التي تعهدوا بمقتضاها بالامتناع عن القرصنة ضد اي اطراف اخرى[260].

ومما جاء في نص المعاهدة في مادتها الثانية، ان الحرب المعترف بها تلك التي تعلن ويعترف بها وتقوم بها الحكومة ضد حكومة اما قتل الرجال والاستيلاء على السلع دون اوامر من الحكومة واعلان منها بذلك فيعد نهبها وقرصنة واذا هاجم اي فرد من العرب المتعاقدين بهذه الانتفاضة مسافراً اما براً او بحراً مهما كانت جنسيته بغرض النهب والقرصنة في غير ما حرب معترف بها فانه انه يعد عدواً للبشرية جمعاء وتصادر امواله وسلعه[261].

تركزت قوة بحرية بريطانية في راس الخيمة ثم انتقلت بعد ذلك الى جزيرة قشم لمراقبة هذه المعاهدة وما قد يأتي بعدها من اتفاقيات اخرى غير ان معاهدة عام 1820 لم تستطع وضع حد للحروب التي اندلعت بين القوى العربية حتى عام 1839 حيث وقع في ذلك العام الشيوخ العرب الهدنة البحرية[262].

---

[255]المصدر نفسه، ص 47.
[256]عبد العزيز نوار، المصدر السابق، ص 58.
[257]المصدر نفسه، ص 60.
[258]عبد الفتاح ابراهيم، المصدر السابق، ص 60.
[259]محمد غانم الصالح واخرون، الخليج العربي، بغداد، 1984، ص 75.
[260]المصدر نفسه، ص 76.
[261]سيد فاروق حنت، مسح تاريخي للمصالح الاوربية في منطقة الخليج العربي، مجلة الخليج والجزيرة العربية، السنة 7، 25 كانون الثاني 1981، ص 90.
[262]سيد فاروق حنت، المصدر السابق، ص 91.

وقد تعهدوا بإحلال السلم محل الحروب والثارات ولكن هذه الهدنه كانت مقصورة على البحر فقط ويظهر ان عدم تعرض القبلية في داخل البلاد للتجارة البريطانية في الخليج هو الذي جعل الانكليز يفكرون بمثل هذا الاسلوب وقد جددت معاهدة الهدنة هذه سنوياً حتى عام 1843 عندما وقعت هدنه أمدها عشر سنوات[263].

وفي مايس من عام 1853 عقد اتفاق جديد عرف بـ "**معاهدة السلم الدائم**" كانت شروطه مماثله للشروط الذي تضمنتها المعاهدة السابقة مع اضافة شرط جديد مضمونه" **ان يراقب البريطانيون الهدنة البحرية ان ينفذوها بالقوة اذا ما دعت الحاجة الى ذلك**" ومعنى هذا انه في حال اعتداء على اي طرف من الاطراف عن طريق البحر فان القبيلة المتضررة لا تثأر لنفسها بل تحيل الامر الى السلطات البريطانية في الخليج[264].

وقد اعقب ذلك، توقيع شيوخ الخليج على معاهدات اخرى مع بريطانيا انتزعت منهم بموجبها التزامات واسعة ودون مقابل يذكر فألزمتهم بعدم الدخول في اي اتفاقية او مراسلة اي قوة اخرى عدا بريطانيا او الموافقة على اقامة اي وكيل لحكومة اخرى داخل اراضيهم وليس لهم ان يتنازلوا او يرهنوا او يبيعوا او يسمحوا باحتلال اي جزء من اراضيهم سوى لبريطانيا[265].

وفي المقابل تعهدت الحكومة البريطانية بالدفاع عنهم وبتمثيلهم في علاقاتهم الخارجية وقد وضعت هذه المعاهدات بانها مانعة وابدية فهي مانعة لأنها تتضمن مادة الشيخ الموقع على المعاهدة من ان يتخلى او يؤجر او يرهن قيماً من اراضيه الا بإذن بريطانيا الدولة الوصية التي تقدم مقابل ذلك حمايتها وهب ابدية طالما ان انتهائها ليس مقيداً بوقت معين وكانت البحرين اول من وقع على الاتفاقية[266]، اذ تم ذلك في عام 1880 وتلتها مشيخات الساحل المتصالح في عام 1892 ثم الكويت في عام 1899 بينما تأخر توقيع قطر الى ما بعد اعلان الحرب العالمية الاولى اي عام 1916 وللإشراف على تنفيذ هذه المعاهدات عينت بريطانيا ممثلاً لها في الخليج عرف باسم الممثل السياسي المقيم لحكومة جلالة الملكة في الخليج العربي والقنصل العام، وقد منح الحق اذا ما دعت الحاجة في استدعاء قطع الاسطول لمساعدته سواء من السفن التابعة للأسطول الملكي في الهند والتي كانت تحت امرته او من محطة الاسطول الملكي في جزر الهند الشرقية والتي كانت تقوم بدوريات منتظمة في مياه الخليج[267].

كبلت بريطانيا حرية التحرك السياسي والاقتصادي للمشيخات والامارات العربية وتوغلت في مسقط وحدت من حريتها حين الزمتها خلال المدة 1798– 1929 بواحد وعشرين تعهداً واتفاقاً تمنح الرعايا البريطانيين فيها امتيازات ضخمة وتقدمهم على غيرهم في المعاملات التجارية وتقرر لهم في مسقط مقيمين ووكلاء وضباط اقتصاديين وسياسيين عدا القنصل[268]، بهدف تقييد السلطنة عن التصرف الا بموافقة بريطانيا وتطلق ايدي الانكليز في شؤون البلاد ومواردها وتمنحهم امتياز صيد الاسفنج في الخليج وحق استغلال النفط والفحم وسائر المعادن[269].

ومن اجل تدعيم مراكزها بشكل كامل في الخليج العربي خطت بريطانيا خطوة اخرى حين الزمت شيوخ الساحل المتصالح خلال المدة 1820–1853 بالتعهد بمنع تصدير الرقيق من سواحل افريقيا او من جهة اخرى على سفن يملكونها هم او احد رعاياهم او التابعين لهم[270].

واعطى حق البحث على المخالفين والقبض عليهم للحكومة البريطانية وقد تعهد الشيوخ عام 1865 بتسليم السلطات البريطانية الرقيق الذين يهبطون في اراضيهم وتأكد التزام الشيوخ بهذه الارتباطات مرة اخرى عام 1873 وقد حصلت بريطانيا على

---

(263)محمد عب الغني سعودي، الخليج بين مقاومات وصراع القوى العظمى دراسة اقتصادية سياسية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، السنة 5، 20 تشرين الاول، 1979، ص 17.

(264)المصدر نفسه، ص 18.

(265)محمد غانم الصالح واخرون، المصدر السابق، ص 77.

(266)صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، 1986، ص 65.

(267)المصدر نفسه، ص 66.

(268)محمد انيس واخرون، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، 1967، ص 94.

(269)المصدر نفسه، ص 95.

(270)طارق نافع الحمداني واخرون، المصدر السابق، ص 62.

تعهدات مماثلة من شيخ البحرين في عامي 187-1856[271]، اما سلاطين مسقط فقد عقدوا في المدة (1822-1873) اكثر من اتفاقية بشان الرقيق تتضمن الالتزام بمنع تجارة الرقيق في كل انحاء السلطنة والاعلان بان استيراد الرقيق يعد عملاً مشروع وان للحكومة البريطانية الحق في البحث والقبض على سفن مسقط التي تشترك في مثل هذه التجارة[272].

ولم تقم بين بريطانيا وكل من الكويت وقطر وامارة نجد السعودية اي علاقات على غرار ما تم بينها وبين البحرين وامارات الساحل المتصالح فسكان الكويت لم يمارسوا اعمال القرصنة او يسهموا بشكل بارز في تجارة الرقيق اما امارتا قطر ونجد فقد كانتا منذ عام 1871 تحت السيطرة العثمانية بدرجات متفاوتة ولم يوقعا مع بريطانيا الا عقب قيام الحرب العالمية الاولى فالتزم شيخ قطر بموجب معاهدة عام 1916 بالاشتراك في كل الاتفاقيات التي سبق عقدها مع شيوخ الساحل المتصالح[273]، وذلك مقابل ان تضمن له بريطانيا الحماية من اي اعتداء يأتيه عن طريق البحر وان تبذل مساعيها الحميدة لمعاونته اذا ما تعرض للعدوان طالما م يكن هو او رعيته مسؤولين عن أثارته، اما امير نجد فقد وقع في نهاية عام 1915 اتفاقية اعترفت به كحاكم مستقل على نجد والاحساء الى ان حلت محلها معاهدة جديدة عام 1927 التي اعترفت بموجبها بريطانيا بابن سعود ملكاً على الحجاز ونجد وتوابعهما[274].

سادساً: نهاية الشركة

كانت شركة الهند الشرقية البريطانية هيئة تجارية طاقتها محدودة وانظار مساهميها متجهة بالدرجة الاولى الى ارباح سنداتهم وليس للقضية الادارية اهمية تذكر لديهم[275]، وعليه فان العقلية التجارية كانت تسيطر سيطرة تامة على رجالات الشركة وكان همهم الوحيد استنزاف ثروة الهند والحصول على اكبر ثروة ممكنة[276].

اخذت ظاهرة الجشع هذه جلية في السنوات التالية واصبح الكسب الذاتي والاندفاع وراء الغنى ومحاولة استغلال الفرص لجمع الثروات الشخصية هي السمة الغالبة لمعظم وكلاء الشركة وذلك على حساب ربح الشركة ومستقبلها السياسي والاقتصادي[277]، اذ استغل الضباط الانكليز كذلك مواقعهم الوظيفة وتزايدت اعمال الظلم والابتزاز من قبلهم وصار الربح والجشع اللاإنساني الهم الوحيد لهم وخاصة ان الشعب الهندي والشعوب الاخرى على امتداد الخليج العربي لا يملكون من أمرهم حولا ولا قوة وقد استغلوا استغلال لا رحمة فيه ولا شفقة وانعكس ذلك على الشركة التي دفعت ثمناً باهضاً لتلك الممارسات اللامشروعة والفضائح المالية التي لا يمكن معالجتها[278].

اخذت شركة الهند الشرقية واجهزتها تسير نحو الافلاس وبعد ان استنزف وكلائها معظم ميزانيتها اضطرت الى طلب قروض من الحكومة البريطانية زادت على المليون استرليني وعندئذ فكر البرلمان البريطاني في ضرورة فرض سيطرة مباشرة على الشركة[279]، وقد تم في عام 1773 اصدار قانون التنظيم الذي بموجبه اصبح لزاماً على مديري الشركة رفع صور من المخابرات الجارية بينهم وبين السلطات المحلية الى الحكومة البريطانية بكل ما يتعلق بشؤون المناطق[280]، كما تم تنصيب الحاكم البريطاني في البنغال حاكماً عاما للهند واعترف رسميا بان كلكتا مركز للحكومة العليا يساعده في ذلك ادارة تتكون من اربعة اعضاء ويقومون بالإشراف والسيطرة على علاقات رئاستي مدارس بومباي[281].

---

[271]المصدر نفسه، ص 64.
[272]محمد انيس واخرون، المصدر السابق، ص 96.
[273]مصطفى عبد القادر النجار، المصدر السابق، ص 19.
[274]مصطفى عبد القادر النجار، المصدر السابق، ص 21.
[275]محمد غانم الصالح واخرون، المصدر السابق، ص 78.
[276]سيد فاروق حنت، المصدر السابق، ص 91.
[277]المصدر نفسه، ص 94.
[278]مصطفى عقيل الخطيب، المصدر السابق، ص 30.
[279]المصدر نفسه، ص 31.
[280] قدري قلعجي، المصدر السابق، ص 381.
[281]المصدر نفسه، ص 382.

كما تم تأسيس بموجب القانون الجديد محكمة عليا في كلكتا مؤلفة من رئيس وثلاثة مساعدين للفصل في القضايا المستحدثة وبموجب قانون عام 1773 اصبح للبرلمان البريطاني شيء من الاشراف على امور شركة الهند الشرقية واصبح اشراف الوزارة البريطانية اشرافاً مباشراً على الشركة وبالرغم من ذلك فان القانون لم يحدد سلطات الحاكم العام والمجلس التابع له مما اضطر البرلمان الى اصدار قانون اخر لتلافي سلبيات القانون الاول[282].

اقر البرلمان البريطاني عام 1784 لائحة رئيس الوزراء البريطاني (وليم بت) تعرف باسم "**لائحة بت الهند**" وبموجبها تم تشكيل مجلس المندوبين الذي عرف باسم مجلس السيطرة ومهمته ممارسة الاشراف على كافة الشؤون المدنية والعسكرية والمالية لشركة الهند الشرقية[283]، وقد تم تأليف هذا المجلس من ستة اعضاء يعينهم ملك بريطانيا يتألفون من وزير المالية ووزير الخارجية واربعة اعضاء استشاريين وبموجبه تم تشكيل لجنة الشؤون السرية وتتألف من المديرين الثلاثة للشركة[284]، كما تحديد صلاحيات وسلطات الحاكم العام بوضع اكثر من القانون الاول وهكذا اصبحت شركة الهند الشرقية خلال السنوات التي اعقبت ذلك خاضعة لسيطرة الحكومة البريطانية وعند تجديد امتياز شركة الهند الشرقية عام 1793 فتح الباب على مصراعيه للتجارة البريطانية الحرة وبذلك فقدت الشركة احتكارها التي كانت تتمتع به لوقت طويل[285].

غير ان الشركة افلحت في الابقاء على احتكارها للتجارة مع الصين ولكن عام 1833 الغي ذلك الاحتكار وبذلك فقدت الشركة مكانتها التجارية المميزة وفي ذلك الوقت وضع البرلمان البريطاني امر شركة الهند الشرقية بوجه عام موضوع المناقشة وكان هناك اتجاه قوي في الراي يميل الى صالح تسلم الحكومة البريطانية ادارة شؤون الهند مباشرة ولكن م يبت في الامر بشكل نهائي[286].

صدر في 1853 امر يقضي باستمرار النظام القائم في الهند تاركاً للبرلمان البريطاني امر البت النهائي مستقبلاً، واستمر الوضع عام 1757 حيث قامت ثورة سيبري في الهند التي هزت اركان الامبراطورية البريطانية باسرها وكشفت للراي العام عن فضائح الحكم البريطاني في الهند[287]، مما اثار مشاعر الشعب الانكليزي نفسه وابانت الثورة عن فشل شركة الهند الشرقية في معالجة مشكلات الهند الدينية والاجتماعية والسياسية وصار الراي العام البريطاني يطالب حكومته بوجوب اتخاذ اجراء سريع وحاسم لتحسين اوضاع الهند وتمت المصادقة على اللائحة فانتهت بإصدار قانون عام 1858 المعروف باسم "قانون التنمية في الهند"[288].

وبذلك الغى احتكار شركة الهند الشرقية للهند نهائياً وانتقلت سلطاتها الى ملك بريطانيا وكان ابرز ما نص عليه قانون عام 1858 الغى مجلس السيطرة ومجلس المديرين في لندن ليعهد بصلاحيتها الى مكتب وزير الدولة لشؤون الهند وعهد الى اللورد ستانلي بذلك المنصب[289].

لقد صدر بيان رسمي على اثر ذلك باسم الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا حينئذ باسم (بيان الملكة) اعلن فيه نقل السلطة من الشركة الى التاج البريطاني ووضع الاسس الواجب اتباعها للحكم الجديد في الهند[290].

وطمأن البيان الشعب الهندي الى التزام بريطانيا بالمحافظة على تقاليدها الاجتماعية والدينية واحترامها كما طمأن الامراء الهنود بالوفاء بتعهدات الشركة لهم حيث سيتم تنفيذها من قبل النظام الجديد بكل دقة وامانة ووعد البيان بإدخال الاصلاحات

---

[282]محمود شاكر، موسوعة تاريخ الخليج العربي، ج1، عمان، 2003، ص 260.
[283]المصدر نفسه، ص 261.
[284]خالد حمود السعدون، المصدر السابق، ص 314.
[285]عباس العزاوي، المصدر السابق، ص 447.
[286]المصدر نفسه، ص 51.
[287]يوسف رزق غنيمة، المصدر السابق، ص 87.
[288]المصدر نفسه، ص 89.
[289]محمد عبد الله عودة واخرون، المصدر السبق، ص 93.
[290]عبد الفتاح ابراهيم، المصدر السابق، ص 79.

الضرورية للهند والعمل على تقدم البلاد وازدهارها وتكشف الوثائق الهندية عن مدة تكاد تكون مظلمة مرت بتاريخ الهند عندما قدرت ان تكون امور البلاد بيد شركة الهند[291]، إذ كانت تلك الشركة بعيدة عن المثل والمبادئ الخيرة فأرهقت كاهل الشعب الهندي والشعوب الاخرى التي سيطرت عليها فاستغلت الى ابعد الحدود وخلفت وراءها اثار مؤلمة من الدمار والتخلف[292].

واذا كانت ثمة امر ايجابي خلفته شركة الهند الشرقية فهو لا يتعدى ذلك المعين الزاخر من السجلات والوثائق الذي لا يمكن ان ينضب والذي يحتوي على معلومات ضخمة تشكل مصدر اساسي لطلاب البحث العلمي ليدلو دلوهم ويستخرجوا اهم واغرب وادق التفاصيل لمختلف شؤون الحياة في تلك المدة اما السجلات الاصلية للمقيمية والوكالة في بندر عباس فقد تم احراقها عام 1859 من قبل الفرنسيين عند صراعهم التقليدي مع شركة الهند[293].

الخاتمة:

توصل الباحثان من خلال دراسة شركة الهند الشرقية– البريطانية ودورها التجاري والسياسي في الخليج العربي، انها كانت هيئة تجارية طاقتها محدودة في البدء اشرفت عليها الادارة البريطانية اذ كان لملكة بريطانيا اليزابيث دور فعال في الامر بتأسيسها ومساندتها ويبدو ان انشائها منذ البداية كان مبنيا على اسس استعمارية سياسية وليس على اسس تجارية وقد برهنت الايام صحة ما ذهبت اليه اذ تركز الاستعمار على الهند وبلاد فارس ومنه الى البلاد العربية حيث منطقة الخليج العربي وسيناء وقد وضعت لها تلك الشركة وكلاء في بوشهر والخليج العربي وكذلك مستشارين سياسيين في البلدات التي شغلتها امتدت فيما بعد الى استعمار مناطق في الهند والخليج العربي منها: احتلال البحرين، ومشيخات الامارات المتصالحة وكان لها دور في تنصيب الشيخ وخلعه كما حدث في البحرين والامارات، وانظار مساهميها متجه بالدرجة الاولى الى ارباح سنداتهم وليس للقضية الادارية اهمية تذكر لديهم وقد كان همها الوحيد استنزاف ثروة الهند والحصول على اكبر ثروة ممكنة. وقد تبين ايضاً ان السمة الغالبة لهذه الشركة هو الكسب الذاتي والاندفاع وراء الغنى ومحاولة استغلال الفرص لجمع الثروات الشخصية ومعظم وكلاء الشركة وذلك على حساب ربح الشركة العام ومستقبلها السياسي والاقتصادي وقد كانت هذه الشركة بعيدة عن المثل والمبادئ الخيرة واذا كان ثمة امر ايجابي خلفته الشركة للهند هو لا يتعدى ذلك المعين الزاخر من السجلات والوثائق الذي يحتوي على معلومات ضخمة تشكل مصدراً اساسياً لطلاب البحث.

قائمة المصادر:

1- مصطفى عبد القادر النجار، شركة الهند الشرقية ملامحها وابرز سماتها، مجلة دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، الكويت، تموز 1978.

2- سليم طه التكريتي، الصراع على الخليج العربي، السلسلة الياسية (12)، وزارة الثقافة والارشاد، بغداد، 1966.

3- صباح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي 1798-1810، مطبعة العاني، بغداد، 1979.

4- عبد المنعم الهاشمي، موسوعة تاريخ العرب في العصر الحديث، ط1، بيروت، .2006

5- قدري قلعجي، الخليج العربي بحر الاساطير، ط2، بيروت، .1992

6- عبد الفتاح ابراهيم، على طريق الهند، بغداد، 2004.

7- امين سعيد، الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة، دار الكتب العربي، بيروت، 1965.

8- زكي صالح، موجز تاريخ العراق، منشأ النفوذ البريطاني في بلاد مابين النهرين، ط1، بغداد، د.ت.

9- يوسف رزق الله غنيمة، تجارة العراق قديما وحديثا، ط1، بغداد، 1922.

[291]المصدر نفسه، ص 81.

[292]مصطفى عبد القادر، المصدر السابق، ص 22.

[293]المصدر نفسه، ص 23.

10- عبد العزيز نوار، المصالح البريطانية في العراق 1600-1914، القاهرة، 1968.
11- عباس عزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج6، بغداد، 1954.
12- محمد عبد الله عودة، تاريخ الخليج العربي الحديث، عمان، 1989.
13- عبد الامير محمد أمين، التنافس بين الشركات التجارية في منطقة الخليج العربي والاقطار المجاورة، مجلة كلية الآداب، بغداد، 1963.
14- طارق نافع الحمداني، تاريخ الخليج العربي في العصر الحديث ومصادره، ط1، 2010.
15- محمد أنيس واخرون، الشرق العربي في التاريخ الحديث المعاصر، القاهرة، 1967.
16- طارق نافع الحمداني واخرون، دراسات في اريخ الخليج العربي، 2008.
17- جمال زكريا قاسم، الخليج العربي: دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الاوربي الاول (1007-1840)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985.
18- بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي المعاصر، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1981.
19- مصطفى عقيل الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي(1622- 1763)، المكتبة العصرية، بيروت، 1981.
20- محمود شاكر، موسوعة تاريخ الخليج العربي، ج1، عمان، 2003.
21- مكي شبيكة، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الاولى، ج1، د. م، 1970.
22- خالد محمود السعدون، احداث في تاريخ الخليج العربي، الشارقة، 2010.
23- محمد غانم الصالح واخرون، الخليج العربي، بغداد، 1984.
24- سيد فاروق حنت، مسح تاريخي للمصالح الاوربية في منطقة الخليج العربي، مجلة الخليج والجزيرة العربية، السنة 7، 25 كانون الثاني 1981.
25- محمد عب الغني سعودي، الخليج بين مقاومات وصراع القوى العظمى دراسة اقتصادية سياسية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، السنة 5، 20 تشرين الاول، 1979.
26- صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، 1986.
27- محمد انيس واخرون، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، 1967.
28- محمود شاكر، موسوعة تاريخ الخليج العربي، ج1، عمان، 2003.